عرض كتاب

الحضارة الاسلامية في القرن الثاني الهجري

تأليف : أ.د. علي زوين[1]

عرض م. بشير داود الحسن *

الكتاب الذي بين أيدينا والذي سنعرض له كتابُ مهمُ من الكتب القيِّمة والتي عرضت لمرحلة مهمة من تاريخ الحضارة الاسلامية الا وهو القرن الثاني الهجري . ذلك القرن الذي بدأت وأُسِّس فيه لمعظم الدراسات في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي والفقه والقراءات والنحو وعلم العروض وعلم الطب والفلك والرياضيات وكثير من العلوم الاخرى .

وبما أَنَّ تاريخ الحضارة الاسلامية مرتبط ببعضه لا ينفك فأن للقرنين الاول والثاني الهجريين من البعثة المحمدية اثرُ واضحُ على القرون التي تلت هذين القرنين ، فقد كانا (القرنين الاول والثاني الهجريين) وكما أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) خير القرون ، وهذه الخيرية تمثلت في كل شيء في الايام وفي السنين وفي الرجال وفي العلوم وفي التاريخ وفي القيم وفي المعارف... والخ .

ولذلك جاء كتاب الاستاذ الدكتور علي زوين ليستقرأ تاريخ الحضارة الاسلامية في القرن الثاني الهجري ، ذلك القرن الذي قلنا أنَّه متميز وفيه ظهرت أغلب العلوم ، وقد استطاع المؤلف بما أوتي من مفاتح العلوم أن يستقرأ النصوص من مصادرها وأن يعطي تحليلاً واضحاً ومنطقياً في الكشف عن الجوانب المهمة في تلك المرحلة الزمنية المحددة من خلال عنوان الكتاب ، وأن يضع القارئ أمام جملة من التفسيرات والملاحظات المهمة في تاريخ الحضارة الاسلامية .

ومن خلال قرائتي وتتبعي للكتاب وجدت أنَّ الاستاذ الدكتور علي زوين مؤلف الكتاب استطاع أن يستقي المعلومة المهمة من مصادرها الاصلية ذات الصلة بالعلم ،

---

(1) الاستاذ الدكتور علي زوين استاذ في علم اللغة وله العديد من الدراسات والبحوث والمؤلفات في الاختصاص العام والدقيق واشرف على العديد من طلبة الدراسات العليا ، وهو يعمل حالياً في قسم الدراسات التاريخية في مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية في الجامعة المستنصرية .

* . مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية .

فقد تناول الكتاب قضايا مهمة من تاريخ الحضارة الاسلامية ، وهو يقع في ثلاثة عشر فصلاً مرتبة بحسب الاهمية الحضارية .

فقد عني الفصل الاول من الكتاب بالتنظيمات السياسية والقضائية في القرن الثاني الهجري كالوزارة والقضاء والنُظُم السياسية والعسكرية . وقد اوضح بشكل تفصيلي وتاريخي لكل مفردة من مفردات الفصل الاول .

في حين أنَّ الفصل الثاني خُصِّص للتنظيمات الادارية والموارد المالية ، كالولايات الاسلامية وكيفية توزيع الدولة الاسلامية ضمن تقسيمات إدارية يستطيع الخليفة من خلالها أن يعين من يراه كفئاً والياً عليها ، ثم تناول موضوع الدواوين والتي استُحدثت في زمن الخلافة الراشدة، وبين أنهَّا بقيت على حالها ثم وُسعت واضيف اليها دواوين جديدة كان من اهمها دواوين الازمَّة ودواوين الرسائل وديوان النفقات وديوان السرِّ وديوان الضياع وديوان الصوافي .

وكذلك اهتم هذا الفصل بموضوع البريد والذي توسع في القرن الثاني الهجري لاتساع رقعة الدولة الاسلامية ، وبين أنّ واسطة البريد أن ذاك كانت من البغال والابل والخيل والحمام ، ثم تطرق لموضوع العملة والتي اصطُلح على تسميتها في تاريخ الحضارة الاسلامية (بالسكَّة) وهي الاختام التي تضرب على الدنانير والدراهم المتعامل بها عند الناس .

في حين عني الفصل الثالث بالمظاهر الاقتصادية للدولة الاسلامية وبين أنَّ التجارة كانت من أكثر المظاهر الاقتصادية انتشاراً ،فقد تعددت جوانبها واشتملت على مختلف السلع التي هي موضع حاجة الاسواق وتأتي الفرش والمنسوجات والثياب في المرتبة الاولى من السلع التجارية التي كانت رائجة في ذلك القرن ، ثم تجارة الجواهر والاحجار الكريمة وصيد اللؤلؤ وتجارة الجلود .

اما الفصل الرابع فقد خُصِّص لبناء المدن والمشاريع العمرانية في الدولة الاسلامية ،كبناء المساجد والجوامع والعناية بترميم بيت الله الحرام وتوسعته، بعد أن زاد عدد المسلمين في موسم الحج بسبب الفتوحات الاسلامية ، وكذلك بناء مدينة السلام (بغداد) عاصمة الدولة العباسية والتي وضع اسسها ابو جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ واكتمل بناؤها سنة ١٤٦هـ ، وكذلك بناء الدور والقصور للخلفاء وابنائهم .

اما الفصل الخامس فقد عني بالعلوم الدينية كعلم تفسير القرآن والقراءات وعلم الحديث وروايته وجمعه وتدوينه ، ولما كان الحديث النبوي الشريف يمثل الاصل الثاني من أصول الشريعة الاسلامية، فقد حظي باهتمام كبير من لدن الخلفاء أن ذاك،وكذلك الفقه فقد شهد القرن الثاني الهجري ظهور أغلب المدارس الفقهية في العراق والحجاز ، ووضع الاصول والاحكام والقواعد العامة لعلم اصول الفقه .

اما الفصل السادس فقد تناول الدراسات اللغوية والادبية التي اتسعت في القرن الثاني الهجري . والتي برز فيها معظم علماء اللغة والادب الذين اسسوا لهذه اللغة كالخليل بن احمد الفراهيدي وسيبويه وعيسى بن عمر الثقفي وغيرهم الكثير .

اما في جانب الادب فقد عني الخلفاء بالشعر والشعراء وقربوهم واعطوهم من هداياهم، وفي هذا القرن ظهرت الدراسات المتعلقة بالاوزان الشعرية وأُطلق عليها اسم (العروض) .

اما الفصل السابع فقد عني بالخط والكتابة وبيَّن المؤلف ان العناية بالخط والكتابة تطورت في القرن الثاني الهجري واتخذت معايير جمالية في رسم الحروف ومعرفة انواع من الخطوط والعناية بالدواة والاقلام واستخدام الطوامير والقراطيس والورق وتجليد الكتب وحفظها .

وفي الفصل الثامن فقد وجدنا موضوعاً مهماً للاخبار والاخباريين الذين ظهروا في القرن الثاني الهجري ، وهم الذين يعنون بتواريخ العرب قبل الاسلام وبعده ولاسيما الاحداث والغزوات والحروب والفتوحات ، وتناول ايضاً طبقات الاخباريين واسماءهم وكتبهم .

اما الفصل التاسع فقد خُصِّص للترجمة والنقل ، فقد عني الخلفاء بترجمة ونقل العلوم من والى العربية وكان المأمون من الخلفاء الذين اهتموا بموضوع الترجمة .

اما الفصل العاشر فقد تناول المذاهب والعلوم العقلية ، وكما يقول المؤلف أنَّها كانت مرحلة خطرة ذات أهمية مخصوصة من حيث ظهور أغلب المذاهب الفكرية والتيارات الثقافية في تاريخ الحضارة الاسلامية ففيه ظهرت (المرجئة) و(الجبرية) و(القدرية) . وفيها وُضعت أُسُس علم الكلام الذي يمكن عدُّهُ مقدمة لعلم الفلسفة

الإسلامية ، وفيه ايضاً ظهرت فرقة المعتزلة والتي تُعَد من اكثر الفرق الاسلامية التزاماً بالمنهج العقلي الاستدلالي .

وخُصِّص الفصل الحادي عشر لعلم الطب والذي تطور تطوراً ملحوظاً في هذا القرن ، فقد اولاه الخلفاء اهتماماً واضحاً وقربوا واهتموا بالاطباء .

اما الفصل الثاني عشر فقد تناول فيه المؤلف موضوع الموسيقى والغناء وتطوره واشهر المغنيين فيه واهتمام الخلفاء بهذا الفن ، وكذلك تناول هذا الفصل العلوم الفلكية وتطوره الى علم له أُصول ومنهج ومصطلحات .

وذهب الفصل الثالث عشر للاهتمام بموضوع طرق المواصلات والملاحة النهرية في القرن الثاني الهجري، وكان الاهتمام منصباً على الطرق المؤدية الى عاصمة الدولة ان ذاك ،وكذلك الطرق المؤدية الى بيت الله الحرام ، وتناول هذا الفصل أيضاً الالعاب ووسائل التسلية التي كانت منتشرة في القرن الثاني الهجري ، فمنها ما كان يعتمد على الرياضة البدنية كسباق الخيل والصيد والقنص ، ومنها ما يعتمد على الرياضة العقلية كالشطرنج ، وكذلك تناول الفصل الاخير من الكتاب موضوعاً مهماً الا وهو الحياة الاجتماعية في القرن الثاني الهجري وعلاقة المسلمين بغيرهم من اليهود والنصارى ومجالس الافراح والاعراس ، وتناول ايضاً جانباً من المظاهر المادية كالاطعمة والاشربة والملابس والدور والقصور والعطور .

وختم الكتاب بمصادر ومراجع الكتاب وهي نحواً من اربعين مصدراً ومرجعاً .

وبقي أن أقول أنَّ الكتاب ذو اهمية عالية وهو غاية في الدقة وفي معالجة النصوص الواردة في الكتاب ، وهو يفتح المجال امام الباحثين للتأليف والاستفادة من مثل هكذا موضوعات ، وعليه نأمل من المؤسسات العلمية الاهتمام بمثل هذه الدراسات والحث على التأليف فيها .